المحاضرة الرابعة : فلسفة التربية

علاقة الفلسفة بالتربية:

أ) الفلسفة وأهميتها:

إن الفلسفة، بصفة عامة، أسلوب منهجي في التفكير في كل ماهو موجود، يسعى إلى معرفة الأشياء، حية وغير حية،من حيث هي كل، معتمدا في ذلك التحليل والتركيب والنقد والتأمل.

وعلى هذا، فالفلسفة طبيعية وضرورية معا للإنسان.فنحن نبحث دوما عن هيكل شامل، تحضى فيه مكتشفاتنا المتفرقة، بمغزى كلي عام. وليست الفلسفة فرعا من فروع المعرفة فحسب، شأنها شأن الفن والعلم والتاريخ...، بل إنها تضم أيضا وبالفعل تلك الفروع في أبعادها النظرية والمعرفية والمنهجية، وتسعى إلى إنشاء صلات فيما بينها. ومرة أخرى نقول: إ، الفلسفة تحاول أن تقيم التماسك في مجموع مجال الخبرة الإنسانية بأسره (فلسفة العلوم).

ب) فلسفة التربية

إلى جانب اهتماتها الخاصة، تنظر الفلسفة في الافتراضات الأساسية لفروع لأخرى؛ فعندما توجه الفلسفة اهتماها إلى العلوم، نحصل على فلسفة العلوم، وعندما تفحص أو تمتحن الفلسفة المفهومات الأساسية للقانون،نحصل على فلسفة القانون...وعندما تتناول أو تمتحن الفلسفة التربية، نحصل على فلسفة التربية، وعلى نحو ما تحاول الفلسفة أن تفهم الواقع ككل، بتفسيره بأعم أسلوب وأشده منهجية كذلك تسعى فلسفة التربية إلى فهم التربية في كليتها الإجمالية، وتفسيرها بواسطة مفهومات عامة تتولى اختيارنا للغايات والسياسات التربوية.

وعلى هذا المنوال نفسه الذي به تنسق الفلسفة العامة بين مكتشفات العلوم المختلفة، نجد فلسفة التربية، باعتبارها أيضا إبستيمولوجيا épistémologieبالنسبة لعلوم التربية(فلسفة العلوم)، تفسر هذه المكتشافات من حيث أثرها في التربية. فالنظريات العلمية ليست لها متضمنات أو مقتضيات تربوية مباشرة، ولا يمكن تطبقيها على الممارسات التربوية، من غير تفحص أولا فحصا فلسفيا وتمتحن امتحانا فلسفيا كذلك.

وهكذا تعتمد فلسفة التربية على الفلسفة العامة، إلى حد أن مشكلات التربية ذات الطابع فلسفي عام، ولا نستطيع أن ننقد السياسات التربوية القائمة، أو أن نقترح سياسات جديدة بدون النظر في مشكلات فلسفية عامة من قبيل:

1. طبيعة الحياة التي ينبغي أن تفضي إليها التربية.
2. طبيعة الإنسان نفسه، لأننا إنما نربي الإنسان.
3. طبيعة المجتمع، لأن التربية عملية اجتماعية.
4. طبيعة الحقيقة التي تسعى كل معرفة إلى النفاذ إليها.
5. فلسفة التربية إذن، تتضمن تطبيق التفكير الفلسفي على ميدان التربية، في مجال الخبرة الإنسانية. وبذلك تصبح الفلسفة، كما يقول جون ديوي: "النظرة العامة للتربية. وهكذا تكون فلسفة التربية هي النشاط الفكري المنظم الذي يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها والعمل على انسجامها، وتوضيح القيم والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها.

وعلى هذا تكون الفلسفة وفلسفة التربية والخبرة الإنسانية، مكونات ثلاث لكل واحد متكامل. ونتجية لذلك، أننا إذا نظرنا إلى ما أصاب المجتمعات الحاضرة والحياة الإنسانية من تغيرات كثيرة، بعيدة المدى، عميقة الأثر فإننا نجد أن التيارات الفكرية، اجتماعية وسياسية واقتصادية أو ثقافية، لا يمكن أن ينتج عنها تغير جذري أساسي حقيقي مالم تكن التربية الوسيلة كذلك، متصلة بالخبرة الانسانية الممتدة النواحي والمتشعبة الاتجاهات...

وإذا كانت الخبرة الإنسانية في أوسع معانيها هي الميدان الذي تلتقي فيه الفلسفة والتربية،فإن هذا الميدان يؤدي أيضا إلى مزج بين التربية والفلسفة، تتنج عنه فلسفة التربية التي تعتمد على هذا المزج للوصول إلى نظريات تربوية وتفسيرات أساسية للعملية التربوية.

مجالات فلسفة التربية :

1- الفلسفة التربوية تأملية :

فهي تسعى إلى إقامة نظريات حول طبيعة الإنسان والمجتمع والعالم, و ذلك عن طريق تنظيم المعلومات المتصارعة المتعلقة بالبحث التربوي و العلوم الإنسانية و العمل على تفسيرها. و ذلك إما باستنتاج تلك النظريات من نظريات فلسفية عامة و تطبيقها على التربية أو بالانطلاق من مشكلات تربوية بالذات ، ثم

وضعها في إطار فلسفي قادر على حلها . إن التربية تثير عدة مشكلات لا تستطيع هي أو العلم القيام بحلها كل على حده ، ذلك لأنها مجرد أمثلة عن المسائل الخاصة بالفلسفة ذاتها و التي تتكرر و تتواتر.

2- الفلسفة التربوية إرشادية :

وتقوم بتحديد الغايات التي يجب على التربية أن تستهدفها و الوسائل العامة التي ينبغي أن تستخدمها لبلوغ تلك الأهداف .تحديد و تفسير الأهداف و الوسائل القائمة المتعلقة بنظامنا التعليمي و تقترح أهدافا ووسائل أكثر صلاحا لكي تؤخذ في الاعتبار لتحقيق هذه الغاية فإن الوقائع حتى و لو كانت محددة, فإنها لا يمكن أن تكون كافية, فالوقائع لا تعدو أن تشير على نحو دقيق إلى حد ما إلى النتائج المترتبة على إنتهاج سياسة بالذات ، و هي في حد ذاتها لا تحدد ما إذا كانت هذه السياسات مرغوبة أم لا. و حتى إذا كانت مرغوبة, فإنها لا تحدد ما إذا كانت تبرر إهمال السياسات الأخرى . و لا يمكن وضع أهداف التربية و لا أي من وسائلها إلا من خلال معايير صحيحة. يقوم بتمحيصها ووضعها فيلسوف التربية. فالتربية كفرع من فروع المعرفة لا يمكن أن تقوم وحدها, و إنما على توجيه فلسفي لها .

3- الفلسفة التربوية تحليلية و نقدية :

تسعى إلى تحليل نظرياتها التأملية و الإرشادية. وكذلك وزن معقولية مثلِنا العليا التربوية و إتساقها مع المثل العليا الأخرى ثم فحص الدور الذي يلعبه التفكير غير المتفحص والتفكير الذي توجهه الرغبة . وأيضا اختبار المنطق الموجود في مفاهيمنا و كفاءته في مجال الحقائق التي ننشد تفسيرها.و ذلك بفضح المتناقضات الموجودة بين نظرياتنا, و توجيه الأنظار إلى مجموعة النظريات الدقيقة التي تبقى بعد إزالة المتناقضات .

اتجاهات في فلسفة التربية :

مما سبق نستطيع أن نقول أن هنالك عدة اتجاهات حول ماهية فلسفة التربية :والتي يمكن تلخيصها في أربعة اتجاهات .

الاتجاه الأول :

والذي تتزعمه سوزان لانجر وترى أنه ليس بإمكاننا تحديد معالم فريدة لفلسفة التربية؛ لأنه ليس في فلسفة التربية مركز أو مراكز معينة يمكن أن تدور حولها. ومعنى ذلك أن فلسفة التربية ليست ميداناً متميزاً عن ميادين المعرفة . ويظهر هذا الرأي بوضوح عند ماكس بلاك فقد تساءل : هل علاقة فلسفة التربية بالتربية مثل علاقة فلسفة العلم

بالعلم ؟ فأجاب بأنه لا وجه بالمقارنة لأن العلم لا يمكن أن يقارن بالتربية . لأن التربية ليست من تخصص العلم . وليست هنالك مفاهيم تربوية يمكن تمييزها عن غيرها من المفاهيم .كما أنه ليست هنالك أساليب محددة واضحة المعالم للبحث التربوي. كما أنه ليست ثمة معايير متفق عليها بقياس صحة وسلامة أي مفهوم أو نظرية تربوية. بمعنى أنه ليس هنالك منهج تربوي يقابل المنهج العلمي. وفي رأيه أن التربية عملية شاملة بشمول الحياة، وليست مادة أو ميداناً منفصلاً عن الميادين الأخرى بفواصل محددة. ويخلص برأيه إلى أن فلسفة التربية ما هي إلا سوى فلسفة.

الاتجاه الثاني :

فهو الذي يرى أن فلسفة التربية هي التحليل الفلسفي للمفاهيم التربوية. وهذا الرأي يتزعمه بعض الفلاسفة التحليليين الذين يستبعدون الجانب المعياري من فلسفة التربية، فالناحية المعيارية ليست .تخصصاً وفق هذا الرأي، ولا هي من اختصاص الفلاسفة يرى بعض هؤلاء الفلاسفة- على عكس ما يرى ماكس بلاك- أن الفلسفة التربوية مثل فلسفة العلم. باعتبار أن التربية علم اجتماعي يصف ظواهر معينة، وينظم مجموعة من المفاهيم تجمع بين الحقائق العلمية والمغزى الاجتماعي، فالتربية لها مناهجها الأساسية وفلسفة التربية تقوم بتحليل وتوضيح المفاهيم التربوية.

الاتجاه الثالث :

فهو يعتبر فلسفة التربية اشتقاقاً من الفلسفة أو تطبيقاً لها. وفلسفة التربية في نظر هذا الموقف تقف في منتصف الطريق، وهي الوسيط بين الفلسفة العامة والنشاط التربوي .يقول واجنر . إن فلسفة التربية هي تطبيق الفلسفة على مشكلات التربية، وعلى هذا ففلسفة التربية تشمل تطبيقات الأفكار والمبادئ والطرق الفلسفية على تلك المشكلات التربوية، التي تناسبها المعالجة الفلسفية أكثر مما تناسبها المعالجة العلمية. ويشارك في هذا الرأي أرنود ريد . أستاذ الفلسفة التربوية بجامعة لندن.

الاتجاه الرابع :

يتزعمه فوستر مكمري، الذي يهاجم الاتجاهات الثلاثة السابقة. ويرى أن فلسفة التربية علم متميز له مشاكله ونظرياته ومناهجه، التي يمكن أن تزداد تحديداً وتشكلاً. ويقول إننا لا بد أن نبدأ بدراسة العملية التربوية، بدلاً من أن نبدأ بموقف فلسفي أو نظرية فلسفية ثم نحدد المشكلات الفريدة التي تتميز بها هذه العملية .إن مكمري يؤكد

على أهمية الإفادة من ميادين المعرفة المختلفة وخاصة العلوم الاجتماعية التي تنمو بشكل متزايد ومثمر، كما يؤكد على أهمية الإفادة من الفلسفة ولا يحاربها على الإطلاق وإنما يرفض اعتبار الفلسفة هي الأساس الوحيد الذي يقوم عليه التفكير النظري .